في حال نزوله هذه السورة بمكة ويحمل ان يجاب عنه بان من انزل ولده الصغير
شيء له يصح ان يقال اعطاه ذلك الشيء مع ان الصبي في ذلك الحال ليس اهلا للتبرع
انتهى وقد روينا في صحيح مسلم من حديث انس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم بين اظهرنا اذ غفى غفوة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما يضحكك
اضحك الله سنك يا رسول الله قال نزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن
الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال
اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي
عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة انيته عدد نجوم
السما فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدثوا
بعدك وهذا تفسير صريح منه صلى الله عليه وسلم بان المراد بالكوثر
هنا الحوض المصرح به اولى هذا هو المشهور كما تقدم فبحسبان من اعطاه هذه
الفضايل العظيمة وشرفه بهذه الخصايل الجميلة وحباه بما افاضه عليه من نعمه
الجسيمة وقد جرت عادة الله مع انبيايه عليهم السلام ان يناديهم باسمائهم الاعلام
نحو يا ادم اسكن يا نوح اهبط يا موسى انا انا الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك
واما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فناداه بالوصف الشريف من الانبا والارسال
فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول ولله در القايل

فدعا جميع الرسل كلا باسمه ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفى على احد ان السيد اذا دعا عبيده
بافضل ما اوجد لهم من الاوصاف العليه والاخلاق السنيه ودعا اخرين
باسمايهم الاعلام التي لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق من الاخلاق
وان منزلة من دعاه بافضل الاسما والاوصاف اعز عليه واقرب اليه ممن دعاه
باسمه العلم وهذا معلوم بالعرف ان ممن دعي بافضل اوصافه واخلاقه كان
ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه انتهى وانظر ما في نحو قوله تعالى واذ قال
ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة ممن ذكر الرب تعالى واضافته اليه صلى
الله عليه وسلم وما في ذلك من التنبيه على شرفه واختصاصه بخطابه وما
في ذلك من الاشارة اللطيفة وعلى الحبيب عليه بالخطاب له الحظ الاعظم
والقسم الاوفى من الجملة الخبرية اذ هو في الحقيقة اعظم خلفايه الاشرفي
الى عموم رسالته ودعايه وجعله افضل انبيايه اقربهم ليلة اسرايه وجعل
ادم فمن دونه يوم القيامة تحت لوايه فهو المقدم في ارضه وسمايه وفي

دارمي تكليفه وجزايه وبالجملة فقد تضمن الكتاب العزيز من التصريح
بجليل رتبته وتعظيم قدره وعلو منصبه ورفعة ذكره ما يقضي بانه
استولى على اقصى درجات التكريم وكفى اخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة
من قبل ذكر العتاب في قوله تعالى عفى الله عنك لم اذنت لهم وتقديم ذكر علي
الانبيا تعظيما له مع تاخر عنهم في الزمان في قوله تعالى ومنك ومن نوح
وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخبار بتخلي اهل النار طاعته
في قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا وهذا كما لا يخفى وقطعا لا يعد النوع الثاني في اخذ
الله تعالى الميثاق على النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به ان ادركوه وليتصرنه
قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الاية اخبر الله
تعالى انه اخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن ادم عليه السلام الى محمد صلى الله
عليه وسلم ان يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاوس وقتادة وقيل
معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين وامهم واستغنى بذكرهم عن
ذكر امهم وعن علي بن ابي طالب وابن عباس ما بعث الله نبيا الا اخذ
عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليومنن به ولينصرنه
وما قاله قتادة والحسن وطاوس ايضا وما قاله علي وابن عباس
لا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل وقتادة ان الانبيا عليهم السلام
كانوا ياخذون الميثاق من امهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم
ان يومنوا به وان ينصروه واحتج له بان الذين اخذ الله الميثاق منهم
يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه وكان الانبيا
عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لا يكون
مكلفا فتعين ان يكون الميثاق ما خوذ على الامم قالوا ويؤكد هذا انه
تعالى حكم على الذين اخذ عليهم الميثاق انهم لو تولوا لكانوا فاسقين وهذا
الوصف لا يليق بالانبيا وانما يليق بالامم واجيب بان يكون المراد
من الاية بان الانبيا لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى
انه لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض
وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)